Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر

المجلد 12 عدد : 01 – ماي 2024 صفحة من : 57 إلى 73

التنمر في شعر المجانين العباسيين(مقاربة بنيوية تكوينية)

Bullying in the poetry of the Abbasid madmen

(A structural, formative approach)

المؤلف الأول[1]* أ.د. عامر صلال راهي	المؤلف الثاني خديجة مجيد كماز
dr.aamersalal@yahoo.com	@gmail.com147Khadejaa
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى /العراق	كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى/العراق

ABSTRACTملخص (لا يزيد عن عشرة أسطر)	معلومات المقال ARTICLE INFO
تهدف هذه الدراسة إلى إظهار أثر التنمر في شعر المجانين العباسيين مرتبطًا بما تعرضوا له في واقعهم من سلوكيات عنفوانية تشمل اعتداءات لفظية تهكمية ساخرة وجسدية بالتعدّي عليهم بالضرب أو العبث بأجسادهم مع ردّهم المكافئ أحيانًا على هذا التنمر بتوجيهه أيضًا إلى الأسوياء من معاصريهم، أو حدوث اختلال في النظر لأنفسهم وانخفاض التقدير للقيمة الذاتية لديهم بتوجيه تنمّرهم لذواتهم والسخرية من وضعهم وحماقاتهم.	تاريخ الاستلام 2023/12/05 . تاريخ القبول 2024/01/01 تاريخ النشر 2024/05/28
	الكلمات المفتاحية التنمر، الشعر، المجانين، العصر العباسي، البنيوية التكوينية
This study aims to show the effect of bullying in the poetry of the Abbasid madmen, linked to what they were exposed to in reality, which includes the violent behaviors that include sarcastic and physical sarcastic attacks by beating or tampering with their bodies with their equivalent response to this bullying by also directing it to the normal of their contemporaries, or an imbalance in Looking at themselves and a decrease in appreciation of their own value by directing their self -confusion and mockery of their status and fools.	Key words (05) bullying, poetry, crazy, Abbasid era, structural structuralism

المقدمة:

تعد طبيعة العلاقات المحيطة بالفرد وكيفية التعامل معه من أهم المؤثرات على صحته النفسية وردود أفعاله ونظرته للآخرين ولنفسه ونظرًا لرهافة حس المبدع لاسيما الشاعر, ومرونة ميدان الشعر التي تطاوع مبدعه على التعبير عن هذه الرهافة واستيعاب المثيرات المتنوعة المحركة لقريحة الشعرية وأحاسيسه وأفكاره وردود أفعاله في جو من التفاعل مع ظروف واقعه وعلاقاته بمجتمعه، يصبح ظهور التنمر أمرًا بدهيًا في شعر المجانين العباسيين لاسيما أنَّه يستوعب مختلف سلوكيات الرفض والعدوان التي من الممكن أن يتعرض لها المجنون أو يقوم بها على السواء؛ كونه((سلوك غير سوي يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد بشكل متعمد ومتكرر لإيقاع الأذى بفرد آخر أو آخرين بأشكال مختلفة منها ما هو: جسدي, لفظي, نفسي, اجتماعي, جسمي, ...))[2].

كما تزيد طبيعة الجنون وحساسيه مشاعر المصاب به بالإضافة لاختلاف ظروف حياته وعلاقاته مع الآخرين من الأسوياء, والطبيعة الطبقية للعصر العباسي والتفاوت في القوة والضعف لشخوصه من احتمالية التعرض للتنمر وانعكاسه في نصوص الشعراء المجانين تعبيرًا عن ضعفهم وسوء معاملتهم من جانب وردّهم بالعدوان أو السخرية من جانب آخر ليظهر عدم تقبلهم لواقعهم وضعف انسجامهم مع مجتمعهم بوصفه((سلوك شاذ مخالف للتصور العام للجماعة يعبر عن نقص في شعور التضامن الاجتماعي لدى المجرم الذي يكتسب المناعة الكافية التي تغذيها منظومة القيم وقواعد الضبط الاجتماعي اللازمة لحفظ كيان الجماعة))[3], وقد استبدل الشعراء المجانين التضامن الاجتماعي المفقود بينهم وبين المجتمع العباسي بتضامن أيديولوجي انعكس نصيًا في النتاج الشعري لهم بتعبيره عن الأوضاع والمعاناة المشتركة لهم تحقيقًا للتفاعل القائم بين فكر لجماعة وأفعالها ما وأن الأعمال الأدبية والفنية تتبادل التأثير والتأثر في حياة الفئات الاجتماعية وسلوك أعضائها واتجاهاتها الثقافية والفنية[4].

وقد كشف النتاج الشعري للمجانين عن جانب من النوازع العدوانية المتبادلة بين الشعراء المجانين والأسوياء في عصرهم عن طريق اتباعهم التنمر بوصفه سلوك اجتماعي يعبر عن الرفض والعدوان وإيقاع الأذى بالآخر ويعدّ ظاهرة منتشرة تصاحب المجتمعات المتقدمة والمتخلفة كافة يوصف بتضادّه للمجتمع ومخالفته للقانون

والثقافة[5], ويعرف بـ((تكرار أعمال العدوان غير المبرر مما يسبب ضرراً نفسياً أو جسدياً للضحية, بحيث إنّ قوة المتنمر والضحية غير متكافئة))[6], ولاشكّ أن يتسبّب ذلك بضعف الروابط الاجتماعية ويزيد من حدّة الاضطرابات النفسية, ولا نستبعد أن يكون سبباً في نشأتها ممّا يزيد من ارتباطه بالمجانين وأثره في حياتهم ورؤاهم ولاسيما كونه يمارس مع الفئات الأضعف والأكثر اختلافًا أو خروجًا عن انساق المجتمع التقليدية, وتنوّع أشكاله التي تشمل جميع أنواع الأذى النفسية والجسمية ممّا يجعل من الصعوبة السيطرة عليه, وغياب الوعي به في ذلك العصر, وعدم وجود قوانين تحمي المجنون منه؛ إذ لاقوا ظلما شديدًا من المجتمع ولاسيما عبث الصبية بهم وقد روى الكتبي ذلك بوصفه أحد أسباب وسوسة خالد الكاتب التي كانت بعد تعرّضه للتنمّر من أبي تمّام

وبعض الصبية الذين وصلهم هجاء الأخير له حول خصومة جرت بينهم في غلام أحباه, فقال أبو تمام[7]:

شِعْرُكَ هذا كُلُّه مفرطٌ في بَرْدِهِ يا خالدُ البارد

((فعلقها الصبيان ومازالوا يصيحون به: يا خالدُ البارد, حتى وَسْوَس...))[8], بل نجد السلطة ذاتها كانت تمارسه مع المجنون من خلال إهماله أو ضربه أو السخرية منه, من ذلك ما ذكره ابن الجوزي في تعرّض أحد الحمقى للتنمّر من الخليفة العباسي المهدي بقوله:((أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال: بلغني أنّ المهدي لما فرغ من عيساباذ[9] ركب في جماعة يسيرة لينظر, فدخل مفاجأة فأخرج كل من كان هناك من الناس وبقي رجلان خفيا عن أبصار الأعوان, فرأى المهدي أحدهما وهو دهش لا يعقل, فقال: من أنت؟ قال: أنا أنا أنا ,قال: ويلك من أنت؟ قال: لا أدري, قال: ألك حاجة؟ قال لا,لا, قال: أُخرجوه أخرج الله نفسه, فدفع في قفاه...))[10], كذلك ناقش علي آل مريع السخرية بوصفها شكلًا من اشكال استقبال خطاب المجنون؛ لاستبعاده ثقافيًا؛ إذ وجدهم يكثرون من ورود بعض الالفاظ الدالة على السخرية في سياق ذكر المجنون مثل(يسخر منه ويسخرون منه), و(يضحك منه

ويضحكون منه)[11]؛ لذا نجد موضوع التنمّر قد أخذ تمثيلًا واسعًا في نصوصهم سواء كان صادرًا من الآخر لهم أم منهم للآخر أم تنمّرهم على أنفسهم وعلى وفق الآتي:

1. تنمّر الآخر على المجنون: من أهم أشكال التنمّر ولعلّه يعدّ سببًا في تنمّر المجانين على الآخرين أو على انفسهم, تنوع بين لفظي متصل أغلبه بموضوع الجنون, والوسوسة, والحماقة, مع التلفّظ بألقاب وألفاظ بذيئة للمجون أو السخرية منه, وجسدي بضرب المجنون وإيذائه, كقول جعيفران شاكيًا من تنمّر الناس عليه بالجنون[12]:(مجزوء الهزج)

رأت النّـــاس يَدْعونـي ... بمـجنونٍ عَلـــى عَمْدِ
وَما بي، اليَوْمَ, منْ حُمْـقٍ ... وَلا لَبْـــسٍ, وَلا عَقْــدِ
وَلَكِـــنْ قَوْلُهـــمْ ذاكَ ... لإِدقاعــي مِنَ الـــوَجد
وَلَـــوْ كُنْـتُ كَقــارُونَ ... ووالـي رُحْــبَةِ الجُنْــدِ
رأَوْني راجِـــحَ العَقْــلِ ... جَميـــلاً, حَسَنَ القَــدِّ
وَمــا ذاكَ عَلــى حَـقٍّ ... وَلـــكِنْ هَيْبَــةُ النَّقــدِ

الأبيات كما يذكر الكتبي قالها جعيفران في موقف تنمّر بعض الصبية بعد أن جاءهم عريان وأخذوا يصيحون به ببذاءة[13]؛ إذ يشكو تنمّر المجتمع عليه لجنونه وهذا ما أشار إليه بقوله:(على عمد), أي تقصّدهم إيذائه, نافيًا, عن نفسه تهمتهم بافتتاح البيت الثاني بـ(ما) النافية والعطف عليها بالنفي ثانية في(وَلا لَبسٍ, وَلا عَقْدِ) اذ أفاد تكرار النفي بمعية اختلاف الصيغ التي ذكرها(حمق, لَبْسٍ, عَقْدِ) تأكيد وقع التنمّر فيه, وشدّة استنكاره لهذا الفعل

المشين, ثم استدرك في البيت الثالث سبب تنمّرهم عليه؛ لضعف حاله وفقره متّخذًا من شخصية قارون ووالي الجند المثال للقوة التي يقارنها بضعفه وفقره, ناقدًا تعاملهم مع هذا الضعف؛ إذ لو كان بقوتهما لم يتهموه بهذا الاتهام ولرأوه راجح العقل, جميلًا, حسن القوام, ثم يعود لنفي صحة كلامهم وتأكد وبطلانه ومجانبتهم الصواب في تنمّرهم وحجتهم أنّ طبيعة النقد تقتضي ذلك, وكأنّه أراد بذلك إجمال رأيه في التنمّر بالبطلان والخطأ جملةً وتفصيلًا.

وتعرض البهلول للضرب من بعض الصبيان بحصاة أدمته فقال[14]: (الرمل)

حسبـــي اللهُ توكـــلتُ عليـه من نَواصِي الخلقِ طُـــراً بيديهِ
ليـــس للهـــاربِ في مهربِـهِ أبـــداً من رَوْحـةٍ إلا إليـــهِ
رُبَّ رامٍ لي بأحجـــارِ الأذى لم أجِدْ بُدّاً مـن العـطفِ عَليه

يتضح من النصّ ضعف المجنون أو اعتياده الأذى ممّا جعله يتّخذ من التوكّل والتحسّب ردّاً على ما تعرّض له؛ لذا باشر قوله بالدعاء والتسليم لمن بين يديه نواصي الخلق, وإليه يعود تصريف أمورها؛ واستهل البيت الثاني بـ(ليس) لينفي وجود مهرب أو راحة لدى غيره, وقد أفاد استعماله ظرف الزمان(أبداً) إطلاق أمر اللجوء, وتعزيزه بأداة الحصر(إلا) في قصره عليه تعالى, ثم جاء البيت الثالث معبرًا عن عمق نظرة المجنون التي حوّلت الموقف إلى سياق العطف على المتنمر من دون انتقام منه, وجاء اختياره لقافية الهاء وكذلك استعمالها في بعض مفردات الأبيات متناسبًا مع حالة الظلم التي تعرّض لها والانتهاك الجسدي والنفسي معا, واليأس في ظل هذا الموقف بوصف الهاء حرفا يتميّز بالاهتزاز والارتعاش في النطق, الموحي باضطرابات النفسية, والانفعال واليأس, والضياع لصاحب الصوت[15].

وقال أبو الفضل الموسوس شاكيًا من القيد الذي وضعوه له[16]: (مخلع البسيط)

مالـــيَ داءٌ سِـــوى الفِـــراقِ أمـــا كفى الدَّهرَ ما أُلاقـــي؟!
مـــا عَلِموا حِيْـــنَ قَيَّدُونـــي أنِّـــي مِنَ الهَمِّ فـــي وِثـــاقِ؟

يقدم النصّ صورة تبرير المجنون لاختلاله بقصر سببه على فراق الأحبَّة بدلالة استعماله الاستثناء المفرغ في صدر البيت الأول(ماليَ داءٌ سِوى الفِراقِ) رغبةً منه في التخلص من تهمة الجنون التي جلبت له تقييد الآخرين مقدمًا شكواه من الدهر بالاستفهام التقريري في عجز البيت(أما كفى الدَّهرَ ما أُلاقي؟!) ليظهر استنكاره لهذا العذاب مع إلقاء اللوم على الدهر دون التصريح بمن قيدوه؛ مما أفاد تعزيز ضعفه أمام تنمّرهم وخوفه من الشكاية منهم محولًا الموقف إلى المعاتبة ومحاولة الحصول على تعاطفهم بأسلوب الاستفهام التقريري أيضًا لبيان معرفتهم بشدّة أحزانه حين قيدوه.

ويدلّ قول أبي العِبَر الهاشميّ على ما كان يُتَّخذ من المجانين موضعًا للتسلية والضحك لاسيما من قبل الخلفاء؛ فيصف كيف كان المتوكل يجلسه على الزلاقة، فينحدر فيها حتى يقع في بركة, ثم يطرح الشبكة؛ فيخرجه كما يخرج السمك[17]: (مجزوء المتقارب)

ويـأْمُـــرُ بي المَلِـكْ فيَطْرَحُني فـي البِـرَكْ
ويَصـطادُني بـالشَّـــبَكْ كأَنَّـي مِـنَ السَّمـــكْ
ويَضْـحَكُ: كَكْ كَكْ كَكَـكْ كَكَكْ كَكْ كَكَـكْ كَكْ كَكَكْ

يمثل النص وصفًا تفصيليًا لحالة العبث بالمجنون من قبل الخليفة مما يدلّ على قلّة حيلته أمامه أو اعتياده الأمر وتقبله لقّلة الوعي به أو كثرة حدوثه؛ لذا لا نلحظ لديه شكوى, أو سخرية, أو رفض, أو أيّ ردّ فعل يذكر سوى وصف الموقف؛ ولكن بنيته كانت تنطق بما يكفي لتوضيح دلالتي المعاملة السيئة وضعفه أمامها, فعبّر افتتاحه بالفعل(يأْمُرُ) عن ضعفه ونفوذ الآخر عليه وسلطته, ومثّل تشبيهه لنفسه بالسمك تدنّي معاملته التي تقارب معاملتهم للحيوانات, أمّا عن اختياره السمك دون غيره من الحيوانات المعروفة بالقوة أو الافتراس فقد دلّ على ضعفه ومرونته في الانصياع لعبث السلطة, فضلًا عن مناسبته للسياق؛ كونهم رموه في بركة ماء وأخرجوه في شبك, ومن ثَمَّ استمتاع الخليفة بذلك لتشابه الموقف بمتعة الصيد وفهم المتوكل بتلك الرياضة؛ بوصفها تمثّل أهم مظاهر الترف وهوايات الطبقة المخملية للمجتمع آنذاك لاسما الخلفاء وأبنائهم[18], معزّزًا ذلك الاستمتاع بوصفه لترنيمة ضحكة الخليفة في ختام الأبيات, كما جاء تواتر السكون مع حرف الهمس الكاف[19], لاسيما في القافية معبّران عن ضعفه وسكونه وعدم قيامه باي ردّ فعل تجاه هذا التنمر.

كذلك عبّر أبو الرقعمق عن التنمّر الجسدي الذي تعرّض له في سياق فخره بنفسه وحماقته؛ إذ يقول[20]: (الهزج)

وَمَنْ مِـنْ شِدَّةِ الصَّفْــع لَـهُ رأس بـــــلا شَعْـرِ
وَمَــنْ هَامَتُـــهُ أقْوَى على الصَّفـعِ مِنَ الصَّخرِ

مثّل قوله هذا تصريحًا واضحًا بالضرب الذي تعرّض؛ إذ جعلته شدَّة الصفع على رأسه أصلعًا، وجاء تكرار لفظ(الصفع) في البيتين بمعية الألفاظ(شدَّة)، و(أَقْوى)، و(الصخر) متناسبًا مع شدَّة الضرب وكثرته التي جعلته يعتاده ويتفاخر بقوة هامته التي تفوق الصخر في قدرتها على تحمّله.

2. تنمر المجنون على الأسوياء: لم يقتصر ردّ المجنون على التنمّر بالضعف, أو التسليم, أو الشكوى, بل تجاوز عند بعضهم إلى التنمّر على أفراد المجتمع من العقلاء الأسوياء؛ ونظرًا لكونه فعلًا يتسم باللاعقلانية ويصدر عادة بوصفه ردّ فعل مضادّ لفعل آخر صدر مسبقا[21]؛ فجاء ذلك متناسبًا للردّ على التنمّر الذي تعرّضوا له, أو غياب وعيهم بأضراره, ومن مصاديق ذلك تنمّر الحلبي على أحدهم بعد أن تفرّس في أذنه وكانت مملوءة شعراً فقال محدّثًا أخاه البكثري دون خشية [22]: (مخلع البسيط)

بالله يـــا بَكْـثُرِيُّ قُلْ لـي مقالةَ الصَّـادقِ الصَّـــــدُوقِ
أَشعْرُ أُذْنَـيْ أَخيكَ أَزْكَى عندك أم زَرْعُ نَهْــرِ بُوْقِ[23]

بطريقةٍ تنمّريةٍ ساخرة يتّخذ الحلبي من البدء بالقسم، وصيغتي اسم الفاعل(الصَّادقِ) وصيغة المبالغة(الصَّدُوقِ)، في رسم مغالاة صورية بائنة في المقارنة المقصودة بين شعر أذني المهجو وزرع نهر بوق من خلال اتّخاذه (أم) المعادلة لإظهار دلالة التقارب بينهما، على الرغم سعة فرقهما عن بعضهما متنمّرًا على شكل الآخر، متّخذًا من أسلوب الاستفهام والطلب في مخاطبة أخيه أداةً لجعله يقرّ بما يسخر منه، وذلك بحصره بين خياري (أذنيه وزرع نهر بوق) للتعبير عن كثافة شعرهما.

كذلك يقارب هذا الأسلوب الساخر قول أبي العبر متنمرًا على أبي الوليد بن أبي دؤاد[24]: (الكامل)

لو كنتَ من شيءٍ خلافَك لم تكنْ لتكونَ إلَّا مِشجبـــاً في مِشجَبِ
لوْ أنَّ لي مِنْ جِلْدِ وَجهِكَ رُقْعــةً لجــعَلتُ منها حافراً للأَشــهَب

يعبّر النص عن تنمّر المجنون على لآخر لاسيما من الناحية الشكلية وأفاد مباشرته الكلام بـ(لو) زيادة في الاستهانة به لاستحالة أن يكون شيئًا جيدًا أو ذا فائدة كبيرة حتى لو كان شيء آخر غير الإنسان لكان عبارة عن مشجب في مشجب, ويقصد بذلك الأداة التي تعلق عليها الثياب, ثم يكرّر (لو) ثانية بتعبير أشدّ تنمّرًا وإيلًاما له من خلال إخباره بأن لو كان له من جلد وجهه رقعة لجعل منها حافرا لفرسه؛ ممّا يدلّ على شدّة ازدرائه للمهجو ومعاملته بمعاملة الحيوانات التي تستعمل جلودها في صناعة الأشياء, وجرأته عليه بهذه المقارنة الأليمة بين وجهه وحافر الفرس؛ إذ جمع بين أعلى ما لديه(وجهه), وأدنى ما للفرس(حافرها)؛ للدلالة على تدنّي مستواه.

وقال أبو دانق الموسوس في التنمر على رجل أعمى قبيح الوجه كان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه[25] (الوافر)

أُشَبِّـــهُ رأسَـــه لولا وِجَـــارٌ ... لعينيـــهِ ونضْنَضَةِ اللِّســـانِ
بـــأعظمِ قَرْعـــةٍ عَظُمَتْ وتَمَّتْ ... فليـــسَ لها لدى التميـــزِ ثَـــانِ
إذا علَيـــتْ أسافلُهـــا أمالَـــت ... دعائـــمَ رأسِـــها نحوَ اللِّيـــان
فكـــان لنا مكانُ الجِيدِ منـــها ... إذا اتَّصلتْ بمُمْسكـــةِ الجِـــرانِ
لهـــا في كلِّ شارقـــةٍ وَبيـــصٌ ... كـــأنَّ بريقَهـــا لَمـــعُ الدِّهـــانِ
فـــلا سُلِّمْتَ من حذري وخوفـــي ... متـــى سَلِمَتْ صفاتُكَ من بَنانـــي

يظهر النصّ تنمّر المجنون الذي تركز في الناحية الشكلية للمهجو بإظهار قباحته بصورة مبالغ فيها لإيلامه محاولًا تشبيه رأسه بأكبر ثمار اليقطين ولعله قصد بذلك إظهار كبر حجمه مع الصورة الملساء الخالية من أي نتوءات أو شوائب في هذه الثمرة المشابهة لخلو رأسه من الشعر مع توظيف الشاعر المجنون لحرف الامتناع(لولا) لهذا التشبيه من أجل أهانة المهجو أكثر بذكر بعض منواع تشبيهه باليقطين بوجود الحفرة لعينية والحركة لسانه

التي تشكل اختلافًا بينه وبينها ليظهر من جانب آخر تفوقه في السوء عليها وامتداد صورة قباحته بمحاولة التفصيل في عيوب أجزاء أخرى من رأسه(عينيه ولسانه) كما حاول بذلك التعبير عن تدوير رأسه وضياع الملامح الإنسانية فيه إذ لولا ثقب عينيه وحركة لسانه لشبهه باليقطين, عادلًا عن ذلك بذكر ما يبرر له التشبيه من أمور مشتركة بينهما بذكر التمايل واللين ومشابه مكان العنق منها بعنق المهجو, معرضًا بلمعان رأسه للدلالة على خلوه من الشعر بذكر بريق القرعة التي يريد تشبيهه بها دالًا على شدَّة هذا اللمعان بتشبيهه بلمع الدهان, نافيًا في الختام سلامة المهجو من تنمّره عليه سواء بالضرب ليجعله دائم الحذر والخوف منه أم بالسخرية والتعريض بقبيح صفاته.

ومثل ذلك قول أبي الرقعمق متنمّرًا على محمد بن هارون الأكثمي[26]: (مجزوء الهزج)

وَمَنْ هارونُ في النَّـاسِ أنـــا أصْـفَعُ هارونُـــا

وهنا نلحظ تصريحًا واضحًا لتعدّي المجنون واعترافه بضرب المهجو، فأفاد استهلاله بأسلوب الاستفهام (مَنْ هارون؟) استهانة به وتحقيرًا له، ثم جاء ضمير المتكلم(أنا) والفعل(أصْفَعُ) وتكرار اسم العلم مع مده(هارونا) توكيدًا لتمكنه منه واستعداده لضربه.

3. تنمر المجنون على نفسه: قد يبدو المفهوم غريبا لكنّه حصل في نصوص المجانين بشكل لا يقلّ عن الشكلين السابقين, ولعلّه جاء متناسبًا مع شذوذ المجنون وخروجه عن المألوف, أو جلده لذاته؛ نتيجة ما تعرّض له من تنمّر, أو ما قام به تجاه الآخر على السواء, وغالبه كان لفظيًا متصلًا بالحماقة أو التفاخر بسوء الخُلق والخلاعة, من ذلك قول ابن جدير[27]: (الخفيف)

أنا فضلُ بْنُ هاشمِ بْن جُديـرِ لمْ أقلْ مُنذْ خُلقْتُ كِلْمَةَ خَيْـر

يحمل النصّ ـ على قصره ـ تنمرًا واضحًا وجّهه المجنون إلى نفسه بجعله السوء مقرونًا بالتعريف عنها تمردًا وتفاخرًا به، متّخذًا من أداة الجزم(لم)، وظرف الزمان (مُنذْ خُلقْتُ)، وكذلك قوله(كلمة) بصيغة المفرد أداة لتأكيد ذلك ولإطلاقه طوال حياته مع كثرته؛ إذ لم يقل حتى كلمة خير واحدة وهذا يدلّ على أذى النفس بالتمسك بما يسيء لها، دون العمل على الارتقاء بها، أو تهذيبها، أو ستر عيوبها عن الأخرين؛ إذ لم تخرجه مبالغته في التفاخر بسوئها من بوتقة جلد الذات وإيذائها.

ومثل ذلك نجد أبو العبر يتنمّر على نفسه لقذارتها بطريقة التفاخر التي اتبعها ابن جدير؛ إذ ينافسه فيها بقوله[28]: (مجزوء الهزج)

وهذا الفَضلُ يَحْكِيْنـي فقُولـوا أيُّنـا أَقْــذَرْ؟

يتضح من سياق النص أنّ الحديث كان يدور بين المجنونين في إطار التلفّظ بالقاذورات ونسبها لأنفسهم وقد جعل من أسلوب المنافسة والمقارنة بينهما طريقة لإبرازها في نفسه من خلال طلبه من الآخرين أن يفاضلا بينهما في القذارة بقوله (قولوا أيُّنا أقْذَر).

ومن التنمّر ما قاله أبو الرقعمق ساخرًا من نفسه وسوء خلقه مشبّهًا لها ببعض الحيوانات[29]: (المجتث)

وأنت تعلم أنّي أصيحُ صياح الحِمارِ

أدْنَى مجـونِيَ أنّـي أصيحُ مثل الحِماري
آ آ أُ آ آ أُ آ آ باللّيلِ لا بالنَّهـــارِ
فبالصَّفيـرِ أُنـادي كَمَا يُناغي القُماري
وللدَيـوكِ أحاكِـي ببِسَطةٍ واقتِـــدارِ

يحمل النص تمثيلًا واضحًا لتنمر المجنون على نفسه؛ إذ باشر حديثه بوصفها بالخلاعة والمجون وسوء الخلق متّخذًا من الفعل (تعلَمُ) الدال على اليقين, وتكرار حرف التوكيد (أنّ) في صدر البيتين الأولين مضيفًا إليهما ياء المتكلم, واسم التفضيل(أدْنَى), ونعت نفسه بالمجون وسوء الخلق تأكيدا لتنمّره وازدرائه لنفسه, وتدنّي مستواه, مبالغًا في ذلك المجون؛ فجعل أقل ما ممكن أن يفعله من مجون هو أن ينهق مثل الحمار ولم يكتفِ بذلك, بل صاغ صدر البيت الثاني لتمثيل أدائه لصوت الحمار من خلال توالي حرف الألف ومده للتعبير عن شدّة استئناسه بهذه الحيوانات وانغماسه بتقليدها إعجابًا وتفاخرًا, وزاد ذلك بمناداته بصوت صفير القمري مقدمًا فعل الصفير على المناداة؛ للدلالة على ثباته عليه واهتمامه به إذ لو أخّر وقال: أنادي بالصفير؛ لاحتمل الكلام أن ينادي بغيره أيضًا, ثم أكد تمكّنه في هذا المجال أيضا بمحاكاته الديوك دون عناء معزّزًا ذلك بتعبيرين يحملان الدلالة ذاتها(ببسطة), و(اقتدار), وأهم ما نلحظه في الأبيات على الرغم من أسلوب الفخر الذي يقدّمه المجنون لنفسه وتدنّي مستوى نظرته لها؛ لذا أخذ يستأنس بالحيوانات ويتفاخر بشبهه إياها؛ ممَّا يدل على ابتعاده عن المجتمع البشري وعدم اندماجه معه.

كما قال ابن جدير في التنمر على نفسه والدعوة لإيذائها[30]: (المجتث)

أنـــا المُخَـــبَّلُ صِرْفـــا حَماقَتي لَيـــسَ تَخْفَـــى

يـــا قَـــوْمُ إِنِّيَ حَتْـــفٌ فَعَجِّلُـــو لِـــيَ حَتْفـــا
فَلَســـتُ أَسْوَى إِذا مـــا عُرِضْـــتُ لِلبَيِـــعِ نِصْفـــا
وَلَـــم أَجِـــدْ قطُّ خَلْقًـــا كَخِلْقَتِـــي مُستَخَفَّـــا
لأَنَّنِـــي كُـــلَّ يَـــومٍ علـــى المقـــاذِرِ أُلْفِـــى
ولـــو ظَفِـــرْتُ بِقيْـــحٍ يَكـــونُ لِلنَّحْـــرِ حِلْفـــا
أَفنَيْتُـــهُ, غَيـــرَ شَـــكٍّ, حَســـوًا وَسَفَّـــاً ولَفَّـــا

يتَّضح تنمّر المجنون على نفسه في النصّ بتصريحه بخبله التام وتفاخره بحماقته الواضحة التي ينفي بـ(ليس) خفائها على أحد, مؤكِّدًا بـ(إنّ) حتمية هلاكه داعيًا قومه للاستعجال بقتله, وزاد في التنمّر على نفسه بالتقليل من قيمتها بوضعها بموضع السلع الرخيصة ونفي أن يكون له قيمة بينها معززًا ذلك بالنفي(لستُ أَسوى) ولفظ(نصفًا) المتناسب مع دلالة القلّة التي أرادها, داعمًا إساءته لنفسه نصِّيًا بالنفي الجازم(لَم أَجِدْ) وظرف الزمان(قطُّ) الدال على النفي المطلق لبيان تفرده بين الخلق في الاستخفاف وعدم وجود شبيه له, معللًا ذلك بقذارته التي أكَّد استمراريته عليها بـ(إنَّ) و(كُلَّ), وجاء تعبيره عن الفوز بالقيح ومجيئه بحرف الامتناع للامتناع(لو) وجعل ذلك شرطًا لشرابه أكثر دلالة على قذارته ودناءة نظرته لنفسه بتمنيه الحصول على القيح وجعله حليفًا لنحره كناية عن طول ملازمته له مؤكِّدًا في الختام رغبته بفنائه بقوله(غَيرَ شَكٍّ), واستعمال الدلالات المعبّرة عن تناول القيح مع العطف بالواو الدالَّة على المشاركة[31] ليظهر فعله لها جميعًا(حَسوًا وَسَفَّاً ولَفَّا).

وهكذا نجد التنمّر بأشكاله المختلفة اللفظية أو الجسدية وأنماطه التي وقفنا عندها بروية قد مثّل أهمية كبيرة في علاقات للمجنون غير المنسجمة مع مجتمعه ونظرته لنفسه والآخر على السواء, لما لهذا السلوك من دور في تشويه البناء النفسي والاجتماعي, وتهديده لأمن الفرد واستقراره, وتدميره لعلاقات التفاعل الاجتماعي, وتهديده للرحمة والرفق الإنساني[32], وما افصحت عنه نتاجات هذا السلوك السلبي ومعطياته التأثيرية في نفوس المجانين

ووعيهم, وما أحدثه من ردّ فعل عنيف لديهم تجاه المجتمع كالنفور منه ورفضه, أو التمرد عليه وما إلى ذلك من سلوكيات سلبية غير محبذة أو مرغوب بها إزاء عالمهم.

الخاتمة:

في ضوء ما تقّدم يمكن استخلاص جملة من النتائج لعل من أبرزها:

1ـ للسلوكيات النفسية والتنمر أحدها أثير في نفسية الشاعر ونتاجه الشعري.

2ـ جاء أثر التنمر في شعر المجانين معبرًا مع واقعهم، وحالتهم النفسية، ومفسرًا لطبيعة علاقاتهم مع معاصريهم وعدم انسجامهم معهم.

3ـ تنوع التنمر في شعر المجانين العباسيين بشكل عام إلى: ما كان موجهًا من الأسوياء للمجانين تارةً، ومن المجانين باتجاه الأسوياء تارةً أخرى، وتنمرّ المجانين بعضهم ببعض تارة ثالثة.

4- سلك التنوّع المتعلّق بتنمّر الأسوياء على المجانين من جهة، وتنمر المجانين على الأسوياء من جهة أخرى مسارين هما: جسدي ولفظي.

5ـ جاء أغلب تنمر الشعراء المجانين على أنفسهم لفظيًا متصلًا بالتفاخر بالحماقة والرقاعة وسوء الخلق.

الهوامش والإحالات

(2) التنمر الإلكتروني وتقدير الذات لدى عينة من الطلاب المراهقين الصُمّ وضعاف السمع: محمود كامل محمد: 20 .

([3]) أثر التنمر على ذوي الاحتياجات الخاصة في تحديد السياسة العقابية: نور الهدى زغبيب: 436 .

([4]) ينظر: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي: لوسيان غولدمان وآخرون: 21 .

([5]) ينظر: ظاهرة التنمر في ضوء المقاربات النظرية المفسرة لها: عبيب غنية: 624 .

([6]) سيكولوجية التنمر: مسعد أبو الديار: 32.

([7]) البيت لم يرد في ديوان أبي تمام وورد في ديوان خالد الكاتب:44 .

([8]) فوات الوفيات: الكتبي:377/1 .

([9])عِيسَاباذ: ((محلة كانت بشرقي بغداد)): معجم البلدان: الحموي:172/4 .

([10]) أخبار الحمقى والمغفلين: ابن الجوزي: 33 .

([11]) ينظر: خطاب الجنون: أحمد بن علي آل مريع: 57-59 .

([12]) ديوان جعيفران الموسوس: 65 .

([13]) ينظر: فوات الوفيات: 295/1 .

([14]) ديوان المصابين: أبو الطاهر عبد المجيد الإسداوي: 36 .

([15]) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: حسن عباس: 192 .

([16]) شعر الموسوسين: علي كاظم علي: 498

([17]) نفسه: 464-465 .

([18]) ينظر: رحلات الصّيد البرّيّ في العصر العباسي الأوّل: هبة مصطفى الشلبي, نجيب بن خيرة: 289 .

([19]) ينظر: مخارج الحروف العربية وصفاتها: ابن الطَّحان: 87 .

([20]) ديوان أبي الرقعمق: 74 .

([21]) ينظر: التنمر في شعر الفرزدق: وسن منصور الحلو: 2 .

(22) شعر الموسوسين: 313 .

(23) نهر بوق:((طسّوج من سواد بغداد قرب كلواذى, زعموا أن جنوبي بغداد من كلواذى وشمالها من نهر بوق)) معجم البلدان:318/5, وكلواذى:((طَسّوج قرب مدينة السلام ببغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربي من نهر بوق)) معجم البلدان: 477/4 .

(24) شعر الموسوسين: 469 .

(25) شعر الموسوسين: 340, وأخل الإسداوي بذكر البيت الرابع ينظر: ديوان المصابين: 119 .

الوجار: من الأوجار تعني((حفر يجعل للوحش فيها مناجل... والوجاران الجُرفان اللذان حفرهما السيل من الوادي)), القرعة: واحد القَرْعُ وتعني اليَقْطِين, الوبيص: البريق. لسان العرب: ابن منظور: مادة(وجر): 220/15-221, مادة(قرع) 124/11, مادة(وبص):200/15

(26) ديوان أبو الرقعمق: 98 .

(27) شعر الموسوسين: 274 .

(28) نفسه: 463 .

(29) ديوان أبو الرقعمق: 64 .

(30) شعر الموسوسين: 275 .

(31) ينظر: فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي: أحمد بن عمر الحازمي: 451 .

(32) ينظر: مقايس السلوك التنمري للأطفال والمراهقين: مجدي محمد الدسوقي: 11 .

قائمة المصادروالمراجع:

- ابن الجوزي, جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن, (1410هـ/1990م), أخبار الحمقى والمغفلين, بيروت, دار الفكر اللبناني.
- ابن منظور, (1419هـ/1999م), لسان العرب, بيروت - لبنان, دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي.
- أبو الديار, مسعد نجاح,(1433هـ /2021م), سيكلوجية التنمر بين النظرية والعلاج, الكويت, مسعد أبو الديار.
- الإسداوي, أبو الطاهر عبد المجيد, (1422هـ /2002م), ديوان المصابين:(شعر الموصوفين بالمجانين والموسوسين في العصر العباسي), مصر, مكتبة عرفات بالزقازيق.

ـ الإشبيلي, للإمام أبي الأصبغ السَّماتي,(1403ه /1984م), مخارج الحروف العربية وصفاتها, بيروت, مركز الصف الألكتروني.
ـ الأنطاكي, أبي حامد أحمد بن محمد,(1442ه/2021م), ديوان أبي الرقعمق, بابل ـ العراق, دار الفرات للثقافة والإعلام.
ـ الحازمي, أحمد بن عمر, (1431ه/2010م), فتح ربّ البرية في شرح نظم الأجرومية للعلامة محمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي, مكة المكرمة, مكتبة الأسدي.
ـ الحلو, وسن منصور,(1438ه /2017م), التنمر في شعر الفرزدق, العراق, جامعة بغداد.
ـ الحموي, شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله, معجم البلدان, بيروت, دار صادر.
ـ الدسوقي, مجدي محمد,(2016م), مقياس السلوك التنمّري للأطفال والمراهقين, القاهرة, دار جوانا.
ـ زغبيب, نور الهدى, (2022م), أثر التنمر على ذوي الاحتياجات الخاصة في تحديد توجّه السياسة العقابية, دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية, المجلد6, العدد 1, 433ـ457.
ـ الشلبي, هبة مصطفى, نجيب بن خيرة,(1444ه/2023م), رحلات الصيد البري في العصر العباسي الأول 132ه ـ 232ه 794م/846م, مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية, المجلد 20, العدد2, 287ـ324.
ـ عباس، حسن, (1998م), خصائص الحروف العربية ومعانيها, دمشق, منشورات اتحاد الكتاب العرب.
ـ غنية, عبيب,(2022م), ظاهرة التنمر في ضوء المقاربات النظرية المفسرة لها, مجلة البحوث التربوية والتعليمية, المجلد11, العدد2, 623ـ644.
ـ غولدمان, لوسيان, وآخرون(1986م), البنيوية التكوينية والنّقد الأدبي, بيروت ـ لبنان, مؤسسة الأبحاث العربية.
ـ الكاتب, خالد, (1400ه/1981م), ديوان خالد الكاتب, بغداد, مطبعة دار الرسالة.
ـ الكتبي, محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن,(1421ه/2000م), فوات الوفيات, بيروت ـ لبنان, دار الكتب العلمية.
ـ محمد, محمود كامل, (1439ه/2018م), التنمر الإلكتروني وتقدير الذات لدى عينة من الطلاب المراهقين الصُمّ وضعاف السمع, قسم الصحة النفسية, كلية التربية, جامعة طنطا.
ـ المدني, علي كاظم علي,(1432ه/2011م), شعر الموسوسين في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري, قسم اللغة العربية, كلية التربية, جامعة القادسية, العراق.
ـ ال مربع, أحمد بن علي, (1435ه/ 2014م), خطاب الجنون, الرياض, العبيكان.
ـ الموسوس, جعيفران,(1441ه/2019م), ديوان جعيفران, بيروت ـ لبنان, دار صادر.